العسكر والمجتمع في العراق
الثكنة، الجندية، الجيش الموازيّ

م. د عدنان صبيح ثامر
الجامعة العراقية/ كلية القانون والعلوم السياسية–قسم العلوم السياسية

The military and society in Iraq
barracks, soldiery, parallel army

Dr.Adnan Sabeih Thamer
Iraqi University- College of Law and Political Science
Department of Political Science

Abstract: The Iraqi army has gone through a number of phases, reflecting the successive historical cycles of the army's rise and fall. During its rise, the relationship between the military and society, and its heightened symbolism, were the same factors that weakened it and prompted the search for an ideological army as an alternative to defend power. The stages that accompanied the Iraqi army since its founding are represented by the "barracks" phase, its isolation from society, characterized by its unique values and customs, allowing it to be an independent institution with the necessary capabilities. However, the rise of the military's symbolism and the accompanying political circumstances pushed the army to leave the barracks. This departure was motivated by expanding its role to include political and developmental issues. There were two paths to working outside the barracks: one expanded into society without departing from the context of the political system's institutions, influencing society and enabling interaction to strengthen its presence within the sphere of control of state institutions. The second is its entry into the phase of parallel armies with society, which was evidence of the political regime's recognition of the weakness of the official army, or lack of trust in it. This resulted in the rise of a parallel army based on a doctrinal ideology that emerged from society. Here, state institutions were unable to control or curb the expansion and power of these parallel armies or regulate their behavior towards the regime or society. This is the most dangerous phase in the army's expansion towards society .

Article history
Received: 27/10/2025
Accepted:3/12/2025
Published : 31 /12/2025

تواريخ البحث
تاريخ الاستلام: 27 / 10 /2025
تاريخ القبول: 3/ 12 /2025
تاريخ النشر :31/ 12/2025

الكلمات المفتاحية : الجيش، الجيش الموازي، رمزية العسكر، الجندية، العسكر

Keywords : army, parallel army, military symbolism, soldiering, military

© 2023 THIS IS AN OPEN ACCESS ARTICLE UNDER THE CC BY LICENSE

http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/

Corresponding author:
Dr.Adnan Sabeih Thamer
Adnansabih471@gmail.com

DOI:

https://doi.org/10.61710/013zj476

المستخلص :

مرّ الجيش العراقي بعدد من المراحل، تعبر تلك المراحل عن الدورات التاريخية المتعاقبة من صعود ونزول للجيش، إذ تكون العلاقة بين العسكر والمجتمع في مراحل صعوده، وعلو رمزيته هي ذاتها عوامل ضعفه والبحث عن جيش عقائديّ يكون بديلًا عنه للدفاع عن السلطة. تعبر المراحل التي رافقت الجيش العراقي منذ تأسيسه بمرحلة (الثكنة) وهي انعزاله عن المجتمع بقيم خاصة وعادات منفردة، تتيح له أن يكون مؤسسة قائمة بذاتها، وتملك مقومات ذلك، إلا أنّ صعود رمزية العسكر والظروف السياسية المرافقة دفعت الجيش الى الخروج من الثكنة، هذا الخروج كان بدافع توسيع أدواره الى القضايا السياسية والتنموية، فكان هناك طريقان للعمل خارج الثكنة، احدهما توسع نحو المجتمع من دون أن يخرج عن سياق مؤسسات النظام السياسي، فأثر بالمجتمع وساعده التفاعل على تعزيز وجوده، ضمن نطاق سيطرة مؤسسات الدولة. وثانيهما دخوله مع المجتمع في مرحلة الجيوش الموازية التي كانت دليلا على اعتراف النظام السياسي بضعف الجيش الرسمي، أو عدم الثقة به، وقد نتج عن ذلك صعود جيش موازي من أيدلوجية عقائدية تكون من المجتمع، وهنا لم تتمكن مؤسسات الدولة من السيطرة أو كبح جماح توسع وقوة تلك الجيوش الموازية أو ضبط سلوكها تجاه النظام أو المجتمع، وهي أخطر مرحلة في توسع الجيش نحو المجتمع .

المقدمة

إنَّ العلاقة بين الدولة والعسكر هي علاقة غير متكافئة، أو علاقة يصيبها نوع من اختلال التوازن فالاحتواء عند الدولة يتطلب نفسا عميقا في التعامل مع الاحداث والافراد، يقابله الانهاء المبكر عند العسكر، فلا ينتظر العسكر طويلا ليفكر في المالات فهو يسعى إلى إنهاء أي صراع حتى لو كانت النتائج غير محسومة. وللدولة مسارات عدة تعمل وفق خطوط للتمكن من مسكها على مستويات تتعلق بالجمهور والمؤسسات، بينما مسار العسكر واضح فإن مخالفته يفقده سماته المميزة ويجعله مشابهًا للمؤسسات المدنية.

فضلا عن ذلك إنّ الخطوط المستقيمة أو المعروفة للدولة بصورة أدقّ والتي تحددها سياقاتها المؤسسية أو التراكم العرفي، أو القوانين المقرة، هي من تقرر آلية التعاطي مع القضايا، بينما العسكر

تكون قراراته متخذة وفقا لمصلحة وجوده وقوته، فالعسكر لم يدافع عن حكّامه الذين أنتجهم في العراق سواء أكان (عبد الكريم قاسم او صدام حسين). ولم يدافع عن نظام انشأه (العهد الملكي)، وقتل أوّل وزير دفاع عراقي بالمعنى المجازي (جعفر العسكري). كما أن ذاكرته تختلف عن ذاكرة الدولة فهو يستعيد امجاده بتعزيزها، وانكساراته بتحولات، بينما تسعى ذاكرة الدولة الى إعادة صياغة الارتباط الخطابي مع المواطنين من خلال تلك الاستعادات.

في مقابل خطاب الدولة القائم على الاحتواء، وهو المصدر الأساس لتشكيل علاقات مع الجمهور، في حين يعتمد العسكر في خطاباتهم على الصد والقوة. تحاول المؤسسات الدولة عادة النزوع نحو الاستقرار كون مراحل السكون تجنبها الاضطرابات وتفسح المجال لها لإعادة ترتيب المشاريع وتطبيق خططها. من جهة أخرى فإنّ العسكر إذا ما وجدوا على رأس السلطة تعيش الروح العسكرية اضطرابًا بين العمل المدني وبين التنظيم القائم على الأوامر والطاعة، ممّا يخلق نوعا من التضارب يضعف بدوره تلك الروح ويدشن لمرحلة جديدة تصبح فيها الدولة بحاجة إلى اسناد موازي للعسكر يدافع عمّا فقدته الروح العسكرية، فينشأ الخلل المبني على أساس وجود جماعات عقائدية تدافع عن السلطة توازي عمل الجيش وتخلق نوعا من التنافس، ينعكس على طبيعة المجتمع. لم تسعف الاصول الفلاحية لبعض الضباط الاتصال بالمجتمع في مرحلة الثكنة، بل ان السياسة هي من ادخلت العسكر الى المجتمع، ولم تستطع الانظمة البقاء على جيشها ضمن دائرة الثكنة المنعزلة في أوقات الحروب الطويلة، فتستعين بالاجهزة المختلفة لتتداخل مع عمل الجيش فتختلط السياسة والايدلوجية في تنظيمات المؤسسة العسكرية، واذا ما طال امد الحرب فإنّ التوسع نحو المجتمع بجيوش موازية من المجتمع تمزج ما بين العادات الاجتماعية والثكنة، تزداد مخاطرها مع توسعها، لا يجمعها زي، ولا يميزها حمل السلاح داخل المجتمع وهي مرحلة المجتمع العسكري التي تعد المرحلة الاخطر في علاقة الجيش والمجتمع.

تقوم الدراسة على تفكيك مفهوم الثكنة وتحولاته من المؤسسة الى المجتمع وفق مقاربة منهجية، تساندها الاحداث التاريخية وتستدعي عددا من الشواهد لثبات افتراضاتها.

المقاربة المنهجية تقوم الدراسة على مقاربة تتعاطى مع العسكر وعلاقته مع الدولة في العراق بالاستعانة بمفهوم (الثكنة) للدكتور كريم محمد حمزة، الذي يتعامل مع العسكر في العراق بتحولاته المختلفة

على أنّه ثكنة لها بنيتها وتنظيمها الأساس، فضلا عن أهدافها وعقيدتها ومحاولاتها الانفصال التامّ عن القيم المجتمعية التي انحدر منها الجنود، إذ يطرح الدكتور كريم محمد حمزة في مقاربته علاقة الثكنة بالمجتمع، وهو يرى أنّ الجندي يصبح عضوا في شبكة من العلاقات الاجتماعية جديدة ذات التزامات مختلفة، وبحكم التدريب والتواجد المستمر وتبادل المنافع؛ فإنّه يصبح في الوحدة العسكرية بمثابة مجتمعه الصغير الذي يخضع لقيم ومعايير تختلف عن تلك التي سادت العشيرة، وأنّ الوحدة العسكرية من حيث الضبط والنظام تشبه الى حد ما اسماه جوفمان (المؤسسات الكلية)، والمؤسسات الكلية هي مكان للعيش لمجموعة مقطوعة عن المجتمع الأكبر يعيشون في حياة دائريّة (حمزة، 2024، صفحة 36). موضحا أنّ هناك ظروفا معينة تخلق تلك الثكنة وتعزلها عن المحتوى القرابي او العشائري التي كان ينتمي لها المجند قبل انضمامه للثكنة، منها الطبيعة الشاقة للخدمة العسكرية التي تتطلب بعدا عن الاهل والعائلة في كثير من الأحيان، وثقل المسؤولية الناجم عن الواجبات الروتينية المتكررة والعزلة التي يفرضها الجيش على الشباب (حمزة، 2024، صفحة 38).

يصف المجتمع العراقي الجندي او المنتمي إلى الثكنة بأنّه قوي وصلب يتحمل الصعاب، فضلا عن انتظامه الذي يحول سياقات حياته الى ثكنة. وبذلك فان المجتمع تأثر كثيرا بالثكنة، ولم يستطع التأثير عليها بقوانينه وعاداته، فلم تكن قوة الثكنة هي السبب الوحيد في انعزالها القيمي او عدم ارتباطها بالقيم المجتمعية في العراق، بل أن هناك سياقات رافقت تشكيل الجيش في العراق، ومنها ما يتعلق بالطبيعة الاجتماعية للمجتمع العراقي، إذ إنّ الأصول القبلية القائمة على الروابط الماسكة لافرادها ضعفت نتيجة لعدد من السياسات التي حولت رئيس القبيلة الى مالك الأرض وفلاحو تلك الأرض هم أجراؤه وليسوا أبناء قبيلته.

وزادت تلك الفجوة بين رئيس القبيلة وبين ابنها في عهد الاحتلال الإنكليزي في العراق، وتفاقم ظلم الاقطاع للفلاح، بسبب تعزيز هيمنة الشيخ (الملاك) بدلا من الشيخ المتكافل مع أبناء عشيرته من خلال تطبيق قانون دعاوى العشائر (1875) الذي نصّ على أنّ أبناء الريف تحت سلطة رئيس القبيلة؛ فيمكن نقل أي ابن مدينة غير مرغوب فيه من الأراضي العشائرية او غير العشائرية واجباره على العيش في مدينة أخرى بموجب أمر إداري، ورئيس القبيلة مسؤول عن تنفيذ ذلك (حمزة، 2024، صفحة 31).

ويساند ذلك الرأي الدكتور فؤاد خوري في كون الارتباط القبلي مع الجندية في العراق معزول، غير أنّه يناقشها انثروبولوجيا في كون المجتمعات القبلية أكثر ارتباطا بافرادها عند تحولهم الى الجندية من المجتمعات الفلاحية التي ينفصل أبنائها عنها، فضلا عن أن المجتمعات القائمة على القوة القبائلية دائما ما تبقى لها مصالح مشتركة مع المؤسسات العسكرية وهذه المصالح تعيد ارتباطها بأفرادها، ممّا جعل من عدم وجود انقلابات عسكرية في المجتمعات القبلية مثل الأردن ودول الخليج، بينما تحدث الانقلابات في المجتمعات الفلاحية مثل العراق وسوريا ومصر (الخوري، 1990، الصفحات 35-36).

وبذلك إنّ مفهوم مجتمع الثكنة تقدم فيها رؤية تعكس طبيعة تلك المؤسسة وعلاقتها بالمجتمع، إلا أنها توقفت عند لحظة التأسيس او المراحل التي زامنتها، ولم تجارِ التحولات التي أدخلت العسكر في السياسة ولم يبقَ للثكنة ما يميّزها، فضلا عن انجرار المجتمع للثكنة وتنافذ ثقافتها لتنظيمه.

تسير الدراسة في معرفة كيف خرجت العسكرة من الثكنة الى المجتمع، وكيف كان للانظمة السياسية المتعاقبة أثر في التعاطي مع العسكر، إذ إنّ الخطوط التاريخية التي تم تداولها تشير الى تحول الثكنة وتوسعها حتى تصل الى الجيوش الموازية والتي تنافس المؤسسة الرسمية للجيش إلا أنها اقوى من وجهة نظر النظام في الدفاع عن السلطة.

لا تريد الدراسة ان تقدّم رؤية تاريخية بقدر ما تحاول توظيف المفاهيم عبر مقاربة الاحداث والتعاطي معها للخروج برؤية عامة في تحولات العسكر في العراق.

ترى الدراسة أن الخروج من الثكنة في العراق كان عن طريقين الأوّل تدخل العسكرة والجندية ضمن ثقافة المجتمع التي تستطيع من خلاله السلطة جذب أبناء المجتمع للجندية، وتستعمل في اوقات الحروب، كما استعمله النظام البعثي في حرب الثمان سنوات مع إيران وبعد ذلك في حرب الخليج، غير أن ذلك التحول يبقي العسكر ضمن حدود النظام ومؤسساته، بينما الطريق الآخر فيتمثّل في إنتاج الجيوش الموازية التي تطلبتها الانظمة للدفاع عنها بعد ضعف العسكر.

الخروج من الثكنة:

إنّ المشكلات التي واجهت المجتمع العراقي والتحولات الاجتماعية والسياسية ساعدت على تحول الثكنة الى خارج جدرانها، وتحولها من مؤسسة ذات قيم خاصة شبه معزولة عن القيم المجتمعية، وبذلك فإنّ مقاربة الثكنة تتحول وفق متغيراتها، الى وظائف تختلف عن الوظائف الموضوعة لها، وايدلوجيات وفرّها سعيها لنيل مكاسب أكبر، ومفاهيم منتجة بسبب الصراع السياسي مع المؤسسة العسكرية.

لم تستطع الثكنة مواجهة التحولات السياسية والظروف الخارجية لا سيّما في مرحلة احتدام الحرب الباردة في خمسينيات القرن الماضي، فقد غدت الجيوش مسيسة خرجت من ثكناتها بدعوى تحرير فلسطين والتغيير، مع الوعد بالعودة إليها بعد إرساء ديموقراطية سليمة لكنها لم تعد الى الثكنات، بل ان الصراعات السياسية مع المؤسسة العسكرية انتجت انقلابات، واتهم العسكر السياسيين التقليديين بالمسؤولية عن النكبة وعن الفساد السياسي والاجتماعي الداخلي (بشارة، 2016، صفحة 24).

فكانت حرب 1948، اهم حدث تاريخي في العراق والدول الاخرى في تلك الحقبة وما جاء بعدها من تحولات سياسية في المنطقة. وإنّ مصطلح (النكبة) هو ما اثاره الكتاب الذين كتبوا عن تلك الحرب، ومن خلاله أصبح سبب الخسارة في الحرب يدفعها كل طرف على الآخر العربي ضمن الدول المشاركة.

استثمر العسكر النكبة لتكون اداتهم في الصراع مع الطبقة الحاكمة، ورموا الفشل على الحكومات، لاسيّما بعد ان أصبح الحديث عن تغليب المصالح السياسية للدول المشاركة على الهدف الأعلى وهو تحرير فلسطين.

ولا يثير الدهشة أن الدول العربية التي خاضت حرب فلسطين باسم الأهداف القومية العربية كانت مدفوعة باهتمامات محلية ومصالح خاصة ، بينما كان بعض الزعماء العرب يتحدثون عن حماية فلسطين العربية من التقسيم فإنّ الملك فاروق وضع مصالح مصر أولا وكذلك الملك حسين فيما يتعلق بمصالح الأردن والرئيس شكري الكويتلي فيما يتعلق بمصالح سوريا وكذلك الزعماء الآخرين فيما يتعلق بمصالح بلادهم، لا سيّما بعد ما قام العديد من الزعماء العرب بإرسال جزء صغير فقط من قواتهم المسلحة للكفاح المشترك (الخالدي، 2001، صفحة 22).

في مقابل ذلك نزع القوميون الى الكتابة في استخلاص الدروس السياسية وتعزيز التغيير الاجتماعي والسياسي والايدلوجيا الجذري استعدادا للجولة القادمة مع إسرائيل (الخالدي، 2001، صفحة 22).

ومن جهة أخرى أصبحت الحاجة للكاريزما القيادية التي تستطيع أنْ تعوض الانكسار الذي لحق بالجيش، بل ان القوميين نجحوا في توجيه بعض الأنظار نحو الزعماء بأنهم كانوا وراء تلك النكبة. فالكاريزما القيادية لا تتوفر في ذلك الحين إلا من خلال الجيش فتحول الحديث عن الجيش من المحافظة على النظام الى المطالبة بقيادة ذلك النظام.

وما يؤكد صحة الافتراض هو ادارك السلطة في العراق حجم المخاطر المحدقة من ذلك التفكير والمترتبة أصلا من عودة الجيش مكسورا في تلك الحرب، وبذلك تمّ سحب الجيش سريعا من الضفة الغربية ولكن لم يسمح له بالعودة الى العراق إلا على شكل مراحل وعلى مدى ثمانية أشهر، ونجحت بذلك في تجنب الصدامات والتمرد (تششارلز، 2001، صفحة 155).

و قد نجح وزير الدفاع أيضا في تجنب حدوث أي تمرد في صفوف الجيش على شكل محاولة انقلاب او عصيان للأوامر، كما تم اعفاء مرتبات الجيش من أية استقطاعات مطبّقة في ذلك الوقت وتم ابعاد الضباط المعروفين بنشاطاتهم المعادية للنظام الى أماكن بعيدة عن وحداتهم واصدقائهم (تششارلز، 2001، صفحة 155).

كل تلك المحاولات تعني أنّ السلطة آنذاك تعي خطورة الانكسار الذي لحق بالجيش، فضلا عن الانكسار الايدلوجي الذي كان بحاجة الى مبررات وكانت احدى تلك المبررات هو الحاجة الى قادة حقيقين يعيدون للجيش مكانته التي اهتزت في الحرب، و أبرزت الحاجةَ الى كاريزما قيادية لقيادة البلد والثأر لنكبة 1948.

ويمكن القول إنّ عودة افراد الجيش العراقي في حرب فلسطين وباعتقادهم ان الأوامر كانت قد صدرت من السلطات العليا بمنعهم من المشاركة التامة في العمليات العسكرية هناك، والتي دفعت الضباط إلى التدخل بالسياسة المحلية (خدوري، 1997، صفحة 34).

كانت مراحل انكسار الجيش في العراق في الغالب هي مقدمة لتحول كبير يحاول اعادة العسكر لرمزيته، فإنّ انكسار الجيش العراقي بعد عودته من حرب 1948، كانت تحتاج الى محفز لها وقد حدث في عام 1958 وذلك يعود الى أسباب أهمها الاعداد الكبيرة للجيش التي تتطلب مهمة يقوم بها، ثانيا العقيدة القومية التي يمتلكها التي لا تتناسب مع انكساره في قضية لها علاقتها بتلك العقيدة.

ولم تكن حرب فلسطين 1948 إلا اكمالا او تنشيطا لظهور الجيش في العراق واحتدام صراعه مع السياسة فقد سبقها في العهد الملكي مجموعة من الاحداث جعلت من العسكر قوة لا يمكن الاستهانة بها، وزاد من التفكير في كونها مركزا مهما للأحداث اللاحقة لا سيّما بعد الاضطرابات السياسية التي رافقت نهاية العهد الملكي.

فأول ظهور للجيش كعامل مهم في السياسة العراقية عندما قضى على عصيان الاشوريين سنة 1933 بقيادة الفريق بكر صدقي قائد المنطقة الشمالية، نال احترام الشعب وتقديره، واعتبر الحارس الأمين لاستقلاله ورمز سيادته الوطنية، وشعر الضباط باهميتهم السياسية وقدرتهم على التأثير في مجرى الاحداث (العارف، 1986، صفحة 48).

حصل الجيش العراقي على مكانة في السياسة وأصبح بعض أصحاب التوجهات الإصلاحية يتقربون منه بعد دوره في انهاء الاضطرابات الداخلية او حركات التمرد، وذلك امكن اللواء بكر صدقي بالقاء ثقله الى جانب بعض الساسة والقيام بانقلاب 1938 (اوينت، 2004، صفحة 248).

يطرح مجيد خدوري فرضية التحولات التي ساعدت في تدخل العسكر في السياسة، في العهد الملكي والتي يوجزها بسب التفرد بالسلطة من قبل الطبقة الحاكمة، الذي دعا الى مجموعة من الطرق احدها الاستعانة بالجيش، فالطريق الأول من قبل اطراف المعارضة التي حاولت الوصول الى البرلمان والتغيير السياسي كمرحلة أولى لكنها فشلت كون البرلمان ضعيفًا مواليًا للحكومة مهما كانت تناقضاتها، إذ تحولوا الى اثارة العشائر كنوع من اضعاف السلطة، لكن تلك المرحلة أدت الى اضعاف العشائر وانعزالها؛ لأن ذلك أصابها بالهزيمة المكررة، فكان العنف وتدخل الجيش هو الأسلوب الثالث الذي أخذ ينمو بالظروف والنتاجات (خدوري، 1997، صفحة 16).

وعلى ذلك فقد صعدت رمزية العسكر نتيجة للمعطيات المتقدمة وهي أحد المسببات في خروجه من الثكنة، ومشاركته بالسياسة والحكم والانقلابات والأيدلوجية جعلت من ارتباطه الاجتماعي القوة التي لا يمكن بوجودها عودته للثكنة، اما الحاجة الى تعزيز قوته دفع بالدولة الى تزيد ارتباطه المجتمعي، من خلال تعزيز ثقافة الجندية كأسلوب حياة التي طبقها بصورة كبيرة النظام البعثي فيما بعد.

صعود رمزية العسكر:

هناك عدد من الفرضيات تناقش صعود رمزية العسكر، وقد تختلف من مجتمع الى اخر، لكن إذا نظرنا الى الظروف المرافقة في صعود تلك الرمزية، او التحولات التي ساعدت على صعودها في العراق، فانها تبدأ بذهاب أبناء الفلاحين للتطوع في الجندية، او سعي ابناء الثانوية للدخول الى المدارس العسكرية، لينتهي بهم المطاف الى حاملي لواء العسكر في الدولة مغادرين الجذور الفلاحية وقيمها مستبدلين إياها بقيم عسكرية مليئة بالروح القتالية والعقيدية أساسها التنظيم، وتشكلها عدد من الايدلوجيات اللاحقة التي فرضها التدخل في السياسة.

ولا يمكن القول إن طريقا واحدا كان السبب في ذهاب أبناء الفلاحين الى الجندية، فهناك عدد من العوامل اجبرتهم على ترك أراضيهم والتوجه الى الجندية، منها التجنيد الالزامي الذي فرض على الجميع بعد عام 1934، ليكون الجيش معبرا عن أبناء المجتمع بتنوعاته، وثانيا الصعوبات المرافقة للجيش وقسوتها منفرّة جدا للشباب المرفهين من أبناء الطبقات المدينية العليا حيث فسح المجال لابناء الطبقات الدنيا (بطاطو، 2011، صفحة 74). بينما كانت الأموال التي تغدق على الجيش تفوق العسر المرافق لتعاملات الاقطاعيين، اذ ينقل حنا بطاطو عن دبلوماسي غربي –يقول بأنه يحتل منصبا حساسا– "إن الضباط في العراق يقبضون أفضل بكثير من امثالهم في تركيا وإيران، ويبقى ولي العهد على اتصال جيد معهم، وفي يوم الجيش اعطاهم ارضا من املاكه الخاصة لبناء بيوت لهم (بطاطو، 2011، صفحة 73).

تلك المعاملات الخاصة التي اعطتها الملكية للجيش لا سيّما بعد التعاقد مع الشركات النفطية وأصبح هناك أموال لدى الدولة العراقية فإنها التفتت الى هذا الجانب والذي يمثّل قوتها لمواجهة الازمات، وبعد ذلك لكسبه من التوترات والثورات التي طالت المنطقة العربية كمصر وسوريا.

ولم يكن الامر مقتصرا على العراق بل أصبحت العسكرية في الدول النامية والمستقلة حديثا المسار الرئيس لتقدم أبناء الفلاحين وأصحاب المهن صعودا على السلم الاجتماعي، وذلك بعد ان كانت البنى التقليدية وثقافتهم تحدد مسار حياتهم وتقرر مصائرهم وتمنعهم من تغيير حياتهم، كما ان فاعلية بنى الدولة الحديثة اقتصرت على المدينة وسيطرت عليها الطبقات القديمة متمثلة بابناء الاعيان وأبناء

البرجوازية؛ فالتعليم لم يكن متاحا ولم يصبح أداة للترقي الاجتماعي بعد (بشارة، 2016، الصفحات 76-77).

على الرغم من الجندية كانت المسلك الوحيد لابناء الطبقات الدنيا وأبناء الفلاحين، إلا أنها كانت تحمل قيمة اجتماعية، من ناحية مساهمتها على صناعة الرجال الاشداء، والتدريبات التي تمكنهم من ان يكونوا أكثر صلابة من غيرهم، فضلا عن ذلك انّ الأموال الكثيرة التي كانت تغدق على رواتب الجنود وزيهم واطعامهم تجعلهم مدفوعين للانخراط في ذلك السلك.

هناك فارق بدأ يتكون في الجيش العراقي هو ان كفاءات مسلك الضباط الإدارية والفنية كانت عموما تفوق من هم في سلك الخدمة المدنية او العاملين في القطاع الخاص، والوضع الممتاز الذي تسبغه عليه خدمتهم، وتماسكهم الاجتماعي بل امتيازهم عن غيرهم في ارتداء البزة العسكرية كل هذا منحهم الثقة بالنفس وكبرياء الطبقة المنغلقة على ذاتها (بشارة، 2016، صفحة 19).

لم تكن الظروف الطبيعية هي العامل الوحيد في تفكير الفلاحين بعلو كعب غير كعبهم. وجعلهم يتوجهون الى التفكير في بديل لتلك المهنة التي جلبت لهم الحزن المستمر على مجهوداتهم التي لا تنتهي بجني المحصول. فهناك عدد من العوامل التي رافقت التحول يمكن ايجازها بما يأتي:

أولا: ظهور النفط كمورد اقتصادي ريعي للدولة يساعد على ان تكون القوى الاعلى والتي لا ينافسها اي طرف وبالتالي فان الموارد الاعلى التي تملكها الدولة هي من دفعت الفلاحين الى التوجه للحصول على جزء من تلك الموارد.

ثانيا : عجز الدولة عن مواجهة القوى العشائرية؛ لذلك فان تفتيتها هو السبيل الناجع من خلال سحب أبنائها للجندية.

ثالثا: التعليم الذي حصل عليه أبناء المدن حرم أبناء الفلاحين من التواجد في المؤسسات المدنية، هو الذي دفع بالتوجه الى التطوع الى العسكر والالتحاق بما تبقى في اجهزة الدولة كمكان وحيد مسموح لهم به على اقل تقدير.

لا بدّ من الالتفات أيضا الى الفكرة القومية التي رفع لواءها عدد من ضباط الجيش، الذين من خلالهم سيطرت الفكرة على عدد كبير من أبناء المجتمع، لا سيّما في وقت رواجها مجددا بعد الاحباطات التي نجمت عن عدم الاستقرار والبطء في تحقيق التقدم في الجوانب المختلفة.

إن القومية العربية بعد الحرب العالمية الثانية أخذت تنزع نحو الحركات الثورية، وبعد ان فقد الجيل الصاعد صبرهم أخذوا يسعون الى دفع عجلات التقدم والتطور باللجوء الى الأساليب الثورية (خدوري، 1997، صفحة 8). وذلك الصعود الثوري قد رفع من رمزية العسكر باعتبارها رافعة هذا اللواء، فضلا عن ذلك فان نكبة 1948 قد دفعت بذلك الاتجاه.

كل تلك المقومات كانت سبيلا لارتفاع قيمة العسكر في العراق، حتى جاءت لحظة الانقلاب عام 1958 التي أعلنت عن صعود رمزية العسكر، وخروجه من الثكنة، ولم يعود إليها حتى عام 2003، بعد سلسلة من التحولات والحروب التي اضعفت رمزية العسكر في العراق لتكون نهاية صعود تلك الرمزية في سقوط نظام البعث.

الجندية والمجتمع:

على الرغم من صعود رمزية العسكر، وكونه قائد الانقلاب الاول، إلا أنّه أصبح فيما بعد أداة بيد النظام أو رئيسه الذي سار به الى التسيس، وادخله الى المجتمع بحدود النظام لا الثكنة، إذ كانت تجربة النظام والعسكر في مرحلة البعث (1968– 2003) هي الاكثر وضوحا في تفسير تحول الجندية كجزء من القيم المجتمعية، ودفع النظام الى ذلك هو الحرب واطالة امدها، فأصبح بحاجة ماسة الى ان يعزز ذلك المفهوم مجتمعيا غير أنه في الوقت نفسه، لا يخرجه من دائرة سلطة النظام وحكم مؤسساته المختلفة.

ناقشت الدكتورة دينا خوري في كتابها العراق في زمن الحرب (الجندية والاستشهاد واحياء الذكرى) كيف ان الحرب العراقية الإيرانية وما بعدها من حرب الخليج(1980– 1991) ساعدت السلطة في تحول المؤسسات المدنية الأخرى في الترويج للحرب، وانشغال المواطنين في تفسير تلك الممارسات للوقاية من معارضتها أولا، والاستفادة من امتيازاتها ثانيا، وبذلك تدريجيا تتحول الجندية الى (أسلوب حياة) (خوري، 2022، صفحة 45).

إن ما يميز الجندية عن الثكنة هو ان الثكنة تتميز بنظامها الخاص المنعزل عن قيم المجتمع، ولذلك انّ ميزتها كـ (مؤسسات كلية) تعني انقطاعا عن المجتمع نتيجة التواجد لمدة طويلة من الزمن، بينما الجندية تتحول فيها الثكنة الى المجتمع ويتنافذ الى المجتمع أسلوب الجندية مثل الزي والسلاح والانضباط وارتفاع قيم الجندي كمواصفات اعلى داخل المجتمع. تكون جزءًا من التحول الثقافي في النظرة الى العسكر، وتكون مظاهر زي الجندية وشعارات الحرب واغانيه خطابا رائجا في الثقافة، ترفع من قيم صاحبها وتجعله أكثر تميزا، بسبب سياسات الذاكرة التي تمارسها المؤسسات المختلفة للسلطة. غير أن تلك الجندية تبقى في حدود النظام ومؤسساته، وتبقى مظاهر التسلح ترتبط بالنظام كجزء من قوته، ولا يمكن أن يكون خارجها بحسب تلك المقاربة.

نتيجة لإطالة امد الحرب العراقية الإيرانية 1980–1988 بعد ان توقعها الكثير من العراقيين بأنّها ربما تنتهي شهر او شهرين، برز شعور بأنّها ربما لا تنتهي ابدا، صار على السلطة ان تواجه ذلك الشعور بتحويل الحرب الى عادية او جزء من حياتهم، عن طريق عدد من الوسائل التي ترجمت الكثير منها عن طريق البعثيين واجبار المواطنين على التعايش مع سردية الدولة للحرب (خوري، 2022، صفحة 100).

في النظام البعثي حيث تتألف الجماعة المحيطة بالرئيس من المقربين والموالين له من الحزب وقادة أجهزة الامن والجيش، ويتقاطع القرب والولاء مع العائلة والانتماء العشائري والجهوي، إذ نجح النظام في مرحلة صدام حسين في تسيس الجيش، وتطويعه تماما للنظام السياسي عبر المنظمات الحزبية في الجيش والمخابرات العسكرية التي تحولت وظيفتها الى التجسس على الضباط والجنود بدلا من العدو (بشارة، 2016، صفحة 10).

وأصبح حزب البعث الوسيلة التي استعانت بها السلطة في المحافظة على دعم الشعب لها في مواجهة الخسائر على الجبهة من تجنيد شباب جدد، فضلا عن ان الحزب صار كيانا لا ينفصم عن الجيش، فهو من جهة له جوانب اجتماعية في حياة العراقيين وجوانب سياسية أخرى (خوري، 2022، صفحة 117).

وإن إدارة شؤون الحرب داخليا وخارجيا بيد جهازين، الأول المؤسسة العسكرية، والثاني هو حزب البعث الذي يرتبط بالمجتمع من جهة في إحصاء مفقودي الحرب وقتلاها وملاحقة الفارين من الجندية، بل ان الحزب تغلغل في صفوف الجيش عن طريق زج الحزبين في المؤسسة ليحافظ على النظام من الانقلابات العسكرية.

ولم يقف الامر عند هذا الحد بل أشرف حزب البعث على تجنيد قوتين كبيرتين من المليشيا وتدريب افرادهما وتلقينهم عقائديا هما (الجيش الشعبي والقوات شبه العسكرية الكردية)، وأدى الجيش الشعبي بوصفه مليشيا تابعة للحزب وظيفتين: الأولى تمكين الحزب من الزعم بأنّه يساهم عسكريا في المجهود الحربي، وثانيا المساعدة على إنشاء عسكرة جماهيرية للمجتمع، إذ يساهم كل مواطن في الدفاع الوطني (خوري، 2022، صفحة 176).

وهنا نتحدث عن الجيش الموازي وهذا ليس انحرافا عن الثكنة فحسب بل انحرافًا عن سيطرة المؤسسات النظامية على العسكر وأصبح تنافذ بين العسكر والمجتمع الى درجة يكون فيها المجتمع شبه عسكر، وتصبح فيها مظاهر العسكرة موجودة في الانظار امام المواطنين مع سهولة الانضمام او الادعاء بالانضمام لهم.

العسكر العقائدي (الجيوش الموازية):

هناك ارتباط متكرر بين صعود رمزية العسكر وبين تشكيل الجيوش الموازية لدى السلطة، أي ان السلطة على الرغم من حاجتها الى صعود رمزية العسكر واستثمارها ذلك الصعود، الا انها ما تزال تخشى من العسكر في ان ينقلب عليها فتؤسس الى جماعة ذات أيدلوجية اضيق من أيدلوجية الجيش تتبع السلطة فتكون جيش السلطة لمواجهة أي عقبات تواجهها وان كانت من قبل الجيش الرسمي.

أي إنّ الثكنة التي اشار اليها الدكتور كريم محمد حمزة بالمؤسسة الكلية ذات القيم الخاصة والروابط المنعزلة عن المجتمع، لم تبقَ على حالها في حالة صعود رمزية العسكر، لعدد من الاسباب اهمّها ما يأتي:

1- انشغال الجيش في قضايا خارج تخصص الثكنة مثل القضايا التنموية او التجارية او الخدمات غير العسكرية التي يقدمها للمجتمع.

2- خروجه من الثكنة ليعيش زهو الممارسات السياسية والمواجهات مع الاخر، والتفكير بقضايا الثأر وتثبيت السلطة.

3- انحراف اهداف الجيش الاساسية وهي حماية حدود البلد من الاعتداءات الخارجية.

4- ضعف قيم الثكنة للاسباب الواردة تدفع السطلة الى البحث عن جيش عقائدي يدافع عن السلطة.

5- بوجود الجيش الموازي عبّرت عن مرحلة جديدة ألا وهو المجتمع العسكري.

تمثلت فكرة الجيش العقائدي (الجيش الموازي) في اول جماعة رسمية بعد انقلاب 1958، من خلال المقاومة الشعبية التي دفع بها الشيوعيون لتكون جزءا من النظام السياسي.

وعلى الرغم من صعود فكرة المقاومة الشعبية وتحولها الى جماعة رسمية في اعقاب ثورة 1958 الا ان بدايات فكرة الشعب المسلح المدعوم من السلطة تعود الى الملك غازي صاحب الفكرة الأولى في ذلك، الذي شغف بإقامة معسكرات الفتوة واناشيد الحرب، صحيح بانها لم تقاتل أحد في حينها الا انها اثمرت بعد موته حين كلفت كتائب الشباب بحراسة العاصمة والمدن الأخرى اثناء توجه الجيش العراقي لمقاتلة البريطانيين في لواء الدليم عام 1941 (العلوي، 1983، صفحة 38).

وظهرت التنظيمات المسلحة بعد ثورة 14 تموز بقرار من القائد العام للقوات المسلحة، وسميت بالمقاومة الشعبية اسوة بالمقاومة الشعبية في البلدان الاشتراكية، انخرط فيها العديد من الشباب وظهرت في الصحف صور لنساء يرغبن ان ينتسبن للمقاومة الشعبية، إلى أن انتهى الحال في تكوين المقاومة الشعبية تنظيميا وعسكريا لصالح الحزب الشيوعي العراقي (العلوي، 1983، صفحة 38).

بعد ذلك اصبحت الجيوش الموازية أكثر رسمية فأسس الحرس القومي في زمن عبد السلام عارف ثم الحرس الجمهوري، ثم فدائيو صدام، ثم الجيش الشعبي في العهد البعثي. غير أن العهد الاخير تعامل مع الجيش بطريقة أزال رمزيتها لصالح رمزيات اخرى وهي رمزية القائد ورمزية البعث، عن طريق

تقليل الموارد المالية وتغيير المناصب العليا بأخرى غير مهنية وغير متخصصة. فضلا عن الحروب المتكررة التي أخذ الجيش بها ينهار شيئا فشيئا.

عند صعود رمزية العسكر توكل اليه عدد من الأدوار تناسب الرمزية الصاعدة، مما يؤدي الى ضعف في أدواره الأساسية وضعف الروح العسكرية التي تتطلبها الثكنة، مما يدعو السلطات الى محاولة إنشاء جيش عقائدي وتم ذلك عن طريق العمل على دفعه للقيام بادوار اجتماعية، وتصفية الخصوم السياسيين. وبذلك ينتج الجيوش الموازية.

وهناك إشارة مهمة يطرحها فؤاد الخوري بان العسكر عندما يقوم بوظيفة لا تنسجم مع التي أعد من اجلها وهي الدفاع عن حدود الدولة وحمايتها فان روحه العسكرية تضعف مما يستدعي التحول الى جيش عقائدي للمساهمة في أداء أدوار أهمها بناء المجتمع وتطويره فضلا عن مواجهة الخصوم الداخليين (الخوري، 1990، الصفحات 38-39).

ان مرحلة الجيوش الموازية تختلف عن الثكنة بل هي تعبير حقيقي عن ضعف الثكنة او مخاطر الخروج منها وتأثيره على المؤسسة، فاصبحت حاجة النظام الى جيش مرتبط بعقيدة ما تعطيه القوة للدفاع عن النظام، الا ان تلك التجربة ازالة الحواجز بين العسكر والمجتمع وأصبح وجود مسلح في مفصل او مكان لا يدعو للخوف بسبب دعم النظام له، وهي من أخطر المراحل اذ تهدد بانزواء المؤسسة العسكرية بسبب عدم الاهتمام بها، فضلا عن خطر الجيش الموازي على النظام السياسي لا سيّما اذا ما تمكن واصبح اكثر قوة من ذلك النظام.

الخاتمة

مرّ العسكر في العراق بمراحل صعود وازدهار، وساهم ذلك الصعود في استثماره سياسيا ليكون واجهة للثورات والانقلابات، وتحولت ايدلوجيته من ايدلوجية الثكنة والقيم العسكرية الى ايدلوجية سياسية ابرز مهامها المحافظة على نظام ساعدت في انتاجه حتى وان كان غير عسكري، الا ان انشغالاته السياسية والادوار الاخرى التي انيطت به أدّى الى اضعافه، ممّا دفع الانظمة السياسية الى التفكير ببديل عقائدي من المجتمع يؤدي ادوار الدفاع عن السلطة، فكانت النتيجة التنافذ العسكري المجتمعي. في مرحلة البعث لا سيّما في عهد صدام حسين حاول ان لا يقع في مشكلة المجتمع العسكري، وان تكون

الجندية جزء من ثقافة مجتمع على ان لا تخرج عن سيطرة النظام وتعمل داخل اطر مؤسساته، غير أن إطالة أمد الحرب دفعته الى الانفتاح الى المجتمع العسكري. لا تميز في المجتمع العسكري بين العسكر داخل النظام او خارجه، فضلا عن سيطرة العسكر على المؤسسات بدل سيطرة واشراف المؤسسات على العسكر.

المصادر باللغة العربية

1. اسماعيل العارف. (1986). اسرار ثورة 14 تموز وتأسيس الجمهورية في العراق. لندن: منشورات لانا.
2. تريب تشارلز. (2001). العراق وحرب 1948: انعكاس الاضطراب العراقي. تأليف ايوجين روجان، حرب فلسطين اعادة كتابة تاريخ 1948 (صفحة 155). القاهرة: الكتاب الذهبي.
3. حسن العلوي. (1983). عبد الكريم قاسم:رؤية بعد العشرين. لندن: دار الزوراء.
4. حنا بطاطو. (2011). العراق: الشيوعيون والبعثيون والضباط الاحرار. (عفيف الرزاز، المترجمون) القاهرة: دار الحياة.
5. دينا رزق خوري. (2022). العراق في زمن الحرب: الجندية والاستشهاد وإحياء الذكرى. (ايمن حداد، المترجمون) بيروت: المركز العربي للابحاث والسياسات.
6. رشيد الخالدي. (2001). الفلسطينيون وحرب 1948: الاسباب الكامنة وراء الهزيمة. تأليف ايوجين روجان، حرب فلسطين: اعادة كتابة تاريخ 1948 (صفحة 22). القاهرة: الكتاب الذهبي.
7. روجر اوينت. (2004). الدولة والسلطة والسياسة في الشرق الاوسط. (علوب عبد الوهاب ، المترجمون) القاهرة: المشروع القومي للترجمة.
8. عزمي بشارة. (2016). العسكر والحكم عربيا: إشكاليات نظرية. سياسات عربية، 24.
9. فؤاد اسحاق الخوري. (1990). العسكر والحكم في البلدان العربية. بيروت: دار الساقي.
10. كريم محمد حمزة. (2024). العراق: دولة الريع ومجتمع الثكنة. بغداد: وزارة الثقافة والسياحة والاثار – دار الشؤون الثقافية.
11. مجيد خدوري. (1997). العراق الجمهوري. قم– ايران: انتشارات الشريف الرضي.

المصادر باللغة الانكليزية

1. Ismail Al-Aref. (1986). Secrets of the July 14 Revolution and the Establishment of the Republic in Iraq. London: Lana Publications

2. Tripp, Charles. (2001). Iraq and the 1948 War: Reflections on Iraqi Unrest. Edited by Eugene Rogan, The Palestine War: Rewriting the History of 1948 (p. 155). Cairo: The Golden Book.

3. Hassan Al-Alawi. (1983). Abdul Karim Qasim: A Vision After Twenty. London: Dar Al-Zawraa.

4. Hanna Batatu. (2011). Iraq: Communists, Baathists, and Free Officers. (Afif al-Razzaz, Translators) Cairo: Dar al-Hayat.

5. Dina Rizk Khoury. (2022). Iraq in Wartime: Military, Martyrdom, and Commemoration. (Ayman Haddad, Translators). Beirut: Arab Center for Research and Policy.

6. Rashid Khalidi. (2001). The Palestinians and the 1948 War: The Underlying Causes of the Defeat. Edited by Eugene Rogan, The Palestine War: Rewriting the History of 1948 (p. 22). Cairo: The Golden Book.

7. Roger Owen. (2004). State, Power, and Politics in the Middle East. (Aloub Abdel Wahab, Translators) Cairo: National Translation Project.

8. Azmi Bishara. (2016). The Military and Governance in the Arab World: Theoretical Problems. Arab Politics, 24.

9. Fouad Ishaq Al-Khoury. (1990). The Military and Governance in Arab Countries. Beirut: Dar Al Saqi.

10. Karim Muhammad Hamza. (2024). Iraq: Rentier State and Barracks Society. Baghdad: Ministry of Culture, Tourism and Antiquities - House of Cultural Affairs.

11. Majid Khadduri. (1997). Republican Iraq. Qom, Iran: Sharif al-Radi Publications.